



ISSN 1597-8893

مجلة أنيضا للدراستات العربية والإسلامية

إصدار قسم الدراسات
العربية والإسلامية

بجامعة ولاية كوفيجي

المجلد الرابع، العدد الثاني، ٢٠١٠/١٤٣١هـ

الاتجاه التقليدي في بناء القصيدة لدى الشيخ محمد ميماسا

ISSN: 1597-8893

مجلة أنيضا للدراستات العربية والإسلامية

إصدار قسم الدراسات العربية والإسلامية

بجامعة ولاية كوفيجي

المجلد الرابع، العدد الثاني، ٢٠١٠/١٤٣١هـ

الاتجاه التقليدي في بناء القصيدة لدى الشيخ محمد ميماسا النفراوي الإلوري

بقلم خليل الله محمد عثمان بودوفو

المقدمة

قام علماء إلورن بأدوار ملموسة في نشر اللغة العربية وثقافتها، وأقاموا لهذه اللغة دولة خالدة في ربوع بلاد يوربا خاصة وفي نيجيريا عامة، وكانت قصائدهم في مختلف الأغراض تمثل لنا جوانب متعددة من حياتهم السياسية والفكرية والأدبية، سوى أن هؤلاء العلماء ليسوا متفرغين لقرض الشعر، بل إنهم جمعوا بين الأعمال الأدبية والدعوة إلى الله تعالى، وعلى الرغم من ذلك استطاع كثير منهم أن يقف في صف واحد مع الشعراء والأدباء العرب. ومن مشاهيرهم الذين تركوا لنا كنوزاً ثمينة في ميدان العلم والأدب، الشيخ محمد ميماسا الذي تهدف هذه المقالة المتواضعة إلى دراسة بعض اتجاهاته في بناء القصيدة. ولتحقيق هذا الهدف نقسم البحث إلى النقاط التالية:

- ١- نبذة عن حياة الشيخ محمد ميماسا.
- ٢- منهجه في الأغراض الشعرية.
- ٣- أسلوبه في بناء القصيدة.
- ٤- خلاصة المقالة.

أولاً: نبذة عن حياة الشيخ محمد ميماسا

هو الشيخ محمد بن إبراهيم النفراوي، ينتهي نسبه إلى إحدى القبائل النفراوية التي استوطنت مدينة إلورن منذ عهد أميرها الأول عبد السلام بن الشيخ عالم

(١٨٣١-١٨٤٢)، إذ كان جده الشيخ صالح بن عمر من فطاحل علماء المدينة ومن أبرز رجالها في ميدان حروهم ضد الكفار^١.

ولد الشيخ محمد بالورن عام ١٣٢٨هـ/١٩٠٨م، وقضى طفولته في حجر والديه الصالحين، فتلقى منهما مبادئ العلوم الإسلامية والعربية، ثم درس في بدا، وزاريا، وكنو، وصوكوتو، وكان مولعا بالفقه وأصوله حتى صار فيهما فريد عصره. وقد مكّنه هذا التكوين العلمي من الانخراط في التصوف، وكان يفعل ذلك من دون غلو أو إفراط. وفي عام ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م ارتحل مع واحد وثلاثين من شيوخ الطريقة القادرية بنيجيريا إلى البلدان العربية والإسلامية لزيارة قبور الأنبياء والأولياء. وقد اتصلوا برجال العلم والأدب في مصر، وبيروت، وبغداد، والرياض، ومكة المكرمة، والمدينة المنورة^٢ ولم يكد الشيخ محمد يعود من هذه الرحلة السعيدة حتى ذاع ذكره في آفاق هذه البلاد وخارجها، وتولى بعد ذلك منصب مفسر القرآن الكريم في مسجد إمام غمبيري وفي قصر أمير الورن، وقد زهد عن هذا المنصب في الستينيات^٣ وأثر عليه التدريس والتأليف.

وفي يوم الأربعاء الثاني من شهر رمضان عام ١٣٠٢هـ/١٩٨٢م، لى نداء ربه بعد أن بلغ من العمر خمسة وسبعين عاما. رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

ثانيا: أغراضه الشعرية

ليس من الإنصاف في شيء أن نوازن الشعر العربي في نيجيريا بالشعر العربي في البلاد العربية الأصيلة، وفي أمثال مصر والسودان والمغرب وغيرها من البلاد التي فتحتها العرب واستوطنوها حتى أصبحت العربية اللغة الأم لأهلها في تخاطبهم اليومي في الأسواق والمنازل، وفي الأفراح والأبراح بل في كل مجالات الحياة، وذلك أننا لو

تصفحنّا الإنتاج الشعري الذي بأيدينا من تراث العلماء النيجيريين في خلال القرنين: التاسع عشر والعشرين الميلاديين لوجدنا أن قسطاً كبيراً منه تقليد للشعر العمودي في بحوره وقوافيه، وحركة رويه، وافتتاحياته التصريعية. فهو -والحق يقال- ينقل لنا الثقافة العربية لا النيجيرية.^٥ سوى أن هذا لم يكن لينحط من قيمة الشاعر النيجيري، لأن التقليد والمحاكاة في الشعر ليس بدعا إذ ما من شاعر قدم أو حديث إلا وتأثر بشاعر سبقه أو نقل معنى أتى من شاعر معروف قبله.^٦

ومهما يكن من أمر، فإن الشيخ محمد ميماسا كان شاعراً جيّداً، تحتوي قصائده على الأغراض التقليدية السائدة في هذه البلاد كالمدح، والرثاء، والحكمة، والفخر، والحماسة، والتاريخ الشعري^٧ وعلى منابع الشعر الصوفي، كالتوسل، والاستغاثة، والمناجاة، والحب الإلهي، والوعظ والإرشاد، والمدح النبوي.^٨ وإليك نموذجاً من شعره في "الحكمة" حيث يقول:

فتسعة ميّز حبهم بالعزائم ** إذا شئت أن تحظى بنيل المكارم
وحب ثلاث واجب بالحقيقة ** ولو لم يحبوك ليجزيك راحمي
فيوجب حب الوالدين وعالم ** وسلطان بلد لا تكن كالبهائم
وحب ثلاث ثم لا تك زائداً ** على حبهم شيئاً فها يا ابن آدم
فأزواجنا أولادنا ثم إخوة ** وزن حبهم مثلاً بمثل كقاسم^٩
ألا ترى أن الشاعر بارع في نظم هذه القصيدة، وذلك لأنه سلّط الأضواء على إصلاح الفرد والمجتمع، وعلى تغذية العقل بمعاني الحقيقة، وعلى إرشاد التائهين إلى سبيل الهداية. وأما ما جاء في باب المناجاة فمنه قوله في مطلع إحدى قصائده:

لا إله إلا الله ** وليس سواه للعبد

أيا رحمن يا سيدي ** أيا معبود يا سندی

إلهي أنت لي أمل ** وجهت إليك بالقصد

أتوب إليك من ذنبي ** وعفو منك في كبدي^{١٠}

وهذه القطعة تمتاز بجودة الأسلوب والترعة الصوفية. وأما المدح فهو أحد الأغراض الشائعة بين الشعراء في إفريقيا الغربية، ونرى أن أغلب الشعراء كانوا من العلماء الذين ترفعوا عن النفاق والاستجداء، ولهذا ابتعدوا بمدحهم عن التكسب، بل كان معظم المدح عندهم مدحاً دينياً للإسلام ورسوله العظيم، ثم للعلماء والمشائخ والتبرك بهم،^{١١} ومثال ذلك قصيدته التي يمدح بها الشيخ إندا صلاتي حيث يقول:

بدا شيخي بغير مرا ** صلاتي لقبه جهرا

فأما اسمه حقا ** بأحمد شيخنا اشتها

طلوع شيخنا سهل ** وعلم شيخنا يروي

إذا ما جئت مجلسه ** تجد ألفاظه دررا

وإن أبغضت أو حسد ** ت شيخنا لم تكن بشرا^{١٢}

ومن هنا، نرى أن الشيخ محمد ميماسا برهن على قوته الشعرية حيث اشتملت قصائده على البحور الخليلية السائدة في هذه البلاد وغيرها، وجاء روي هذه القصائد من حروف الميم والبدال والراء ونحو ذلك مما يجعل القصائد سهلة التناول، وجميلة الجرس، ولذيذة النغم.

ثالثاً: أسلوبه في بناء القصيدة

تكلم نقادنا قديماً وحديثاً عن بناء القصيدة وذلك من حيث المطلع والمخرج والنهاية. وطلبوا في المطلع أن يكون واضحاً بيناً، لا غموض فيه ولا لبس في معناه،

ولا صعوبة في فهم مرماه، وألا يكون معقد الترتيب، مضطرب الأسلوب. ومنه أن يكون متساوي الأطراف من حيث المبني والمعنى، فلا يكون سطره الأول مرتفعاً والآخر منخفضاً متخلفاً، كما أوجبوا أن يكون بعيداً عن كل ما يبعث في النفس التشاؤم والتطير أو التقزز والاستنكار، كأن يخاطب ملكاً بما يكره، أو بكلمة توحى بشيء يبعث في نفسه عدم الارتياح.^{١٣}

ومن المعلوم أن الجاهليين كانوا يبدؤون قصائدهم بالوقوف على الأطلال أو الغزل، ثم ينتقل الشاعر بعد ذلك إلى غرضه الأساسي، وعلى هذا المنوال التقليدي سار بعض علماء هذه البلاد، سوى أن ذلك لم يمنع قريحتهم الشعرية من اليقظة والنهوض والاستجابة لبيئتهم، ولذلك تجدهم في الغالب يبدؤون قصائدهم بالتسبيح لله تعالى والثناء عليه أو الشكر له، وبالصلاة والسلام على رسوله الكريم، وبذكر اسمه في أول القصيدة، ومن أمثلة ذلك قول الشيخ ميماسا في مطلع بعض قصائده:

قال محمد وهو بن الحاج ** برهام النفوي الألوري الراجي

سبحان من قهرنا بالموت ** وليس من مخلوقه ذو فوت

وكل شيء هنالك بلا مرا ** من عابد أو فاجر من الوري^{١٤}

ومنها قوله في مطلع قصيدة لمدح النبي صلى الله عليه وسلم:

الحمد لله ذي الأنعام الرحمن ** إذ خصنا برسول الله ذي الحان

ومنها قوله:

بدأت بيسم الله والحمد والشكر ** صلاقي وتسليمي على سيد البشر

وآل وأصحاب وأزواجه ومن ** على نهج ذاك الهاشمي بلا غدر^{١٥}

وفي بعض الأحيان يخوض علماء هذه البلاد في صلب موضوع قصائدهم مباشرة من دون أية مقدمة، كما يقول الشيخ محمد ميماسا فيما يأتي: إن السبيل إلى النجاة أطيب ** من طيب مسك أو شذى يكسب إن رمت صاح أن تكون سيداً ** أو أن ينالك حيث كنت مطلب^{١٦} ومنها قوله في أثناء مدحه للشيخ محمد الناصر كبرا:

فبلغ يا أخي شكر الوداد ** إلى شيخ الشيوخ في البلاد
محمد ناصر الدين إمامي ** رشدي مرشد الأقوام نادي^{١٧}
ومن هنا نرى أن شعراءنا النيجيريين قد بذلوا جهوداً جبّارة في تحسين مقدمات قصائدهم، حتى أصبحت سهلة متسمة ببراعة الاستهلال. وأما بالنسبة إلى المخرج أو حسن التخلص، فقد حاولوا الدخول في أغراض قصائدهم بلطف ورفق، سوى أنهم في بعض الأحيان - حسب ذوقهم الأدبي القليدي - يسيرون على نمط الجاهليين وبعض المخضرمين، حيث ينتقلون انتقالاً مفاجئاً في غالب الأمر، وسيلهم إلى ذلك أن يضربوا عما هم فيه، أو أن يطلبوا منك أن تنتقل معهم إلى ما هم منتقلون إليه، وذلك بقولهم "دع ذا" "وعد عن ذا" "وبعد ذا" وما أشبه ذلك. وقد سلك الشيخ محمد ميماسا هذا المسلك في بعض قصائده حيث يقول:

وبعد ذا فشرعنا في الشاء الذي ** نرجو شفاعته في يوم حيران^{١٨}
ومنها قوله:

وبعد فالقصد بهذا النظم ** مرثية جاءت بقدر علم^{١٩}
وبهذا، يتضح لنا أن الشيخ محمد ميماسا قد نهج في نظم قصائده منهجاً قلد به الشعراء العرب قديماً وحديثاً في طريقة التخلص من مطلع القصيدة إلى الغرض الأساسي.

وأما حسن الخاتمة في القصيدة، فقد أخذ الباحثون يعنون به عناية كبرى لأنه آخر ما يبقى في الأسماع، وآخر ما يربطك بها ويجذبك إليها، وربما كان في حسن الختام ما يحمل الناس على تتبعها والهيام بها.

وأحسن ما تحتتم به القصيدة ما يشعر بالنهاية والختام، بحيث لا يبقى انتظار شيء، ولا يظل مترقبا لشيء يكون منسجما مع الغرض الذي سبقت له القصيدة بحيث لا يكون غريبا عنها أو نافرا منها، ولذا قال صاحب الصناعتين: "ينبغي أن يكون آخر بيت في القصيدة أجود بيت فيها، وأدخل في المعنى الذي قصد إليه في نظمها"^{٢٠} وأما علماء نيجيريا فتختتم قصائدهم - غالبا - بالثناء على الله والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم، والدعاء والتوسل بالرسول والأولياء. وكثيرا ما يذكر الشاعر اسمه في آخر القصيدة أو يختتم القصيدة بالبيت الذي افتتحها به بعجزه أو بصدره. ومن أمثلة ذلك ما جاء في قصيدة الشيخ حيث يقول:

واختتم إلهي عمري بخير ** وكل مرید يهوى الجيلاني
وصل صلاة وسلم سلاما ** إلهي على جدّ الشيخ الجيلاني^{٢١}

ومنها قوله:

اللهم يا غفار اغفر لذنوبنا ** وذنوب آبا والأمهات ومن غفر
من المسلمين والمسلمات ومن علق ** بحب طريق أهل التصوف بالخير
وزد يا إلهي في كرامة شيخنا ** وذا عبد قادر الكيلاني الذي اشتهر
على سيد الأكوان أعني محمدا ** صلاتي وتسليمي إلى أبد الدهر^{٢٢}
وأحيانا أخرى يشير الشاعر إلى عدد أبيات القصيدة وإلى تاريخ نظمها، ومن ذلك قول الشيخ:

صل وسلم عليه ما بدا الفلق ** وما تلى عارف شيئا لقرآن

قصيدي بيتها كسن سيدنا ** صاب وهجرته صارت شقكان^{٢٣}

ومن هذا القبيل أن يفتح الشاعر قصيدته ويختمها بالمطلع نفسه، ومثال ذلك

قول الشيخ محمد في قصيدة مطلعها:

واختم إلهي عمري بخير ** وكل مرير يهوى الجيلاني

وصل صلاة وسلم سلاماً ** إلهي على جدّ الشيخ الجيلاني^{٢٥}

وقوله في قصيدة أخرى مطلعها:

يا إلهي أحب لنا ** ما دعونا أربنا

يا عليما بما بنا ** اشف قلبي من الضنى^{٢٦}

وختمها بقوله:

يا إلهي بحرمة ** كل حي وميت

من مطيع لسنة ** ما دعونا أحب لنا^{٢٧}

وفي بعض الأحيان يذكر الشاعر الوزن الذي استعمله في قصيدته كقول

الشيخ محمد ميماسا فيما يلي:

وشعري جاء بالوزن ** مفاعلتن مفاعلتين^{٢٨}

وفي بعض المواطن، يذكر الشاعر اسمه موصلاً باسم والده، ويذكر المذهب الفقهي

الذي ينتمي إليه، وطريقته الصوفية وما إلى ذلك. ومن أمثلة ذلك قول الشيخ محمد

ميماسا:

الحمد لله الذي أعانا ** عبيده العاجز وحنانا

ويذكروه ألفا محما ** ابن الحاج إبراهيم وثما

النفاري آله أي نسبا ** المالكي فقهه أي مذهبا

القادري ورده طريقة ** بها يصيد علمهم الحقيقة

وبالصلاة والسلام ختمنا ** على الرسول المصطفى سيدنا^{٢٩}

الخاتمة:

نلاحظ أن هذا البحث حاول أن يلقي ضوءاً على الاتجاه التقليدي في قرص الشعر الذي لجأ إليه عالم عاش في بيئة غير عربية، وترعرع في عصر ليس بالعصر الذهبي للشعر العربي، ألا وهو الشيخ محمد ميماسا الذي سار في اتجاهه الشعري على منوال الشعراء العرب القدماء وخاصة فيما يتعلق باختيار الأغراض والأوزان، وبناء المطلع والمخرج وحسن الخاتمة. وكذلك يتضح لنا أنه تأثر كثيراً في قصائده بالقدماء من علماء هذه البلاد أمثال الشيخ عبد الله بن فودي، والسلطان محمد بلو، والشيخ أحمد ينما الإلوري، والشيخ أحمد بن أبي بكر إكوكورو الإلوري وغيرهم. وفي خلال هذه الدراسة يتجلى لنا جوانب من ثقافة الشيخ محمد ميماسا وشاعريته ومقدرته العلمية.

الهوامش

- ١- انظر: خليل الله محمد عثمان: دراسة نقدية لشعر الشيخ محمد ميماسا النفاوي الألوري، بحث قدم إلى قسم اللغة العربية لنيل درجة الماجستير، بجامعة إلورن، إلورن، عام ٢٠٠١م، ص ١٩.
- ٢- راجع: الدكتور حامد إبراهيم أولاغنجو: الشيخ محمد المقدم وتطور الأدب العربي في مدينة إلورن، (مخطوط) ص ٧.
- ٣- المرجع نفسه، ص ٩.
- ٤- خليل الله محمد عثمان: المرجع السابق، ص ٣٨.
- ٥- خليل الله محمد عثمان: الشيخ آدم عبد الله الإلوري حياته وانتاجاته الأدبية، رسالة الليسانس، جامعة بايرو كنو، ١٩٩٣م، ص ٦٢.
- ٦- الدكتور محمد الأمين عمر: هدية الأحباب والخلان، مطابع الزهراء للإعلام العربي، مصر، عام ١٩٨٨م، ص ٣٨٥.
- ٧- التاريخ الشعري: عبارة عن الأشعار التي يتناول فيها الشاعر الحوادث التاريخية الهامة التي وقعت في الأمة على سبيل الحساب والرمز، قيل إن عبد الرحمن البهلول النحلاوي هو الذي اخترعه.
- ٨- خليل الله محمد عثمان: دراسة نقدية لشعر الشيخ محمد ميماسا النفاوي الألوري، ص ٤.
- ٩- القصيدة ما زالت مخطوطة، وتوجد نسخة منها بمكتبة نجل المترجم له: الشيخ الخليفة إبراهيم ميماسا، وفي مكتبة المرحوم الدكتور حامد إبراهيم أولاغنجو، جامعة إلورن، إلورن.

١٠- القصيدة موجودة بالكامل عند أولاد المترجم له وعند بعض تلامذته، وهي مخطوطة.

١١- الدكتور راجع محمد مصطفى لبجاج: "مصادر الشعر الصوفي"، مجلة حوليات الجامعة الإسلامية بالنيجر، العدد الثالث، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ص ١٧٨.

١٢- الشيخ محمد بن إبراهيم النفاوي الإلوري: مجموع القصائد الثلاث، مطبوع بالخط المغربي، عام ١٩٧٣م ص ١٥.

١٣- محمد عبد الرحمن شعيب: النقد الأدبي الحديث، (مكان الطبع وتاريخه غير مذكورين)، ص ٣٠٢.

١٤- الشيخ محمد بن إبراهيم النفاوي الإلوري: المرجع السابق، ص ٤.

١٥- خليل الله محمد عثمان بودوفو: الكبريت الأحمر الشيخ أحمد الرفاعي إندا صلاقي، مطبعة ألي حمبا، إلورن، ١٩٩٩م، ص ٢٠.

١٦- هذه القصيدة عبارة عن التفريظ لكتاب سبيل النجاة للشيخ موسى الزكركي، نجد نسخة منها عند أولاد المترجم له، وعند بعض تلامذته.

١٧- الشيخ محمد بن إبراهيم النفاوي الألوري: فتح الخلاق في الرحلة إلى مصر والحجاز والعراق، (مخطوط) ص ١٨.

١٨- الشيخ محمد ميماسا قصيدة المدح النبوي الشريف، وهي مخطوطة، وتوجد نسخة منها عند أولاده وتلاميذه.

١٩- الشيخ محمد بن إبراهيم النفاوي الإلوري، مجموع القصائد الثلاث، ص ٣.

- ٢٠- أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري: كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، حققه وضبط نصه الدكتور مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ-١٩٨١م ص ٥٠٣.
- ٢١- الشيخ انظر محمد بن إبراهيم النفاوي الألوري: مجموع القصائد الثلاث، ص ٩.
- ٢٢- خليل الله محمد عثمان بودوفو: الكبريت الأحمر الشيخ أحمد الرفاعي إنسا صلاقي ص ٢٢.
- ٢٣- الشيخ راجع محمد بن إبراهيم النفاوي الألوري: قصيدة في المدح النبوي الشريف، (مخطوطة) ص ٧.
- ٢٤- محمد بن إبراهيم النفاوي الألوري: مجموع القصائد الثلاث، ص ٨.
- ٢٥- المرجع نفسه، ص ٩.
- ٢٦- القصيدة موجودة عند أولاد المترجم له وعند تلامذته.
- ٢٧- المرجع نفسه، والصفحة غير مكتوبة.
- ٢٨- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
- ٢٩- خليل الله محمد عثمان: دراسة نقدية لشعر الشيخ محمد ميماسا، ص ١٢٩.